Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل كان «الفيلسوف الفريكة» من لقبه هذا نصيب؟ لم يكن أمين الريحانى فيلسوفًا بالمعنى الأكاديمى للكلمة، وإن كانت له آراء فلسفية مبثوثة هنا أو هناك فى كتبه، وبخاصة فى كتابه «خالد». مع كتاب «خالد» نحن أمام نموذج فريد فى السيرة الذاتية. إنه نوعٌ من السيرة الذاتية المكتوبة سلفًا، فى مطلع الشباب، لتكون دستورًا شخصيًا للحياة المقبلة، لتكون فلسفة فى الحياة. هذه الفلسفة فى الحياة مسنودة إلى الفلسفة فى زمن الريحانى الشاب، كما تحصّلت لديه عبر قراءاته فى خبرة يمكن القول إنها ليست قليلة لشاب فى عمره.

ويمكن أن نعثر أيضًا على بعض آرائه الفلسفية فى «وصيته» التى كتبها فى خريف ١٩٣١ وهو فى الرابعة والخمسين من عمره فى وقت كان قد كتب فيه أكثر كتبه وأعماله، وشعر معه بتكامل رسالته ونضج أفكاره. وقد جاءت «الوصية» بمثابة خاتمة تلخص هذه الأعمال. يصدق ذلك على ما كتبه الريحانى قبل الوصية وبعدها. والوصية إضافة إلى مقدمتها تتضمن عشرين بندًا تندرج من مواقفه السياسية والاجتماعية إلى الحضارية والإنسانية إلى الدينية. وقد أراد أن تُتلى هذه الوصية فى مأتمه لتذكر الناس بمجمل أفكاره وفلسفته فى المجتمع والحياة.

ومن أجمل ما كتب الريحانى كتاباته عن الرحلات التى قام بها فى أصقاع مختلفة من الوطن العربى ومنها «ملوك العرب» و«المغرب الأقصى»، و«فيصل الأول» و«قلب لبنان». وقد جمع الريحانى في هذه الكتابات المادة الإخبارية الطريق إلى الأسلوب الروائى المرح فجاءت موسوعة حية متكاملة الحلقات تنطوى على كل علم وخبر من تاريخ وجغرافيا وتراث شعبى واقتصاد وسياسة واجتماع وسوى ذلك، بل جاءت فيلمًا ملونًا ناطقًا؛ فتعدّد الأبعاد يوهم القارئ بأنه رفيق المسافر والشاهد على مشاهداته وانفعالاته.

كان الريحانى يسجّل كل ليلة ما توافر له فى النهار من معلومات وانطباعات، وما علق بذهنه من أحاديث وروايات ونوادر فيغربلها وينسّق بينها ويعيد كتابتها بعفويتها وطراوتها مستعينًا بالمراجع، فإذا باللهجات المحلية المؤثرة والغرابات الطريفة ترافق سرده وصوره وخواطره الغنائية وملاحظاته التاريخية فى توازن جذاب. ولعل ما ذكره ميخائيل نعيمة فى هذا الصدد يختصر طريقة الريحانى فى هذا اللون الكتابى.